القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

قابيل وهابيل

عبد الحميد جودة السحار

٢

القصص الديني
الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

قابيل وهابيل

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثانى : أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهى خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت فى أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهى خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت فى عشرين جزءًا ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

١

كان آدمُ وحــوّاءُ يَعِيشــان فـى الجَنَّـةِ سـعيدَين ، لا يَعْرِفان التّعبَ أو الخوف ، ولكنْ لَمَّا لَمْ يَســمعا أُمْرَ اللَّـه ، أَنْزلهمــا إلى الأرض ، فوجــدا الأرضَ مُغَطّــاةً بالأشــجارِ العاليــةِ والأعشــاب ، ووجــدا السِّــباعَ والنُّمُورَ والفِيَلَةَ والضِّبَاعَ وجميعَ الوحوشِ تعيــشُ فــى الأرضِ ، فخافا أن تأْكُلَهُما هــذه الوحــوش ، فســكنا فى كهفٍ عال ، ولما جاعــا لم يَجِـدا طعامهمــا قَريبــا سَهْلاً كما كانا يجِدانه فى الجنة ، بــل كــان علــى آدمَ أَنْ يبحثَ عن الطعامِ فى وسطِ الغابات والأشجار .

أصبح على آدمَ أن يَتعبَ وأَن يَســيلَ عرقُـه ، قبـل أن يجِـدَ طعامَـه ، وأصبـحَ علـى حـوّاءَ أن تُعاونَـه فـى عملِه، وتُشاركَه فى تعبِه .

وحملت حواءُ ووضَعَتْ طِفْلا سَمَّتْهُ قَابيلَ ، وفرِح آدم بأولِ ولدٍ له ، ووجدَ أنَّ حواءَ لَنْ تَستطيعَ أن تشاركَه فى عمله ، فقدْ أصبحَ لها عملٌ آخر ؛ هو العنايةُ بالطِّفل . فخرجَ وحدَه يبحثُ عن الطعام طولَ النهار ، حتى إذا جاءَ الليل ، عاد إلى الكهفِ يلاعبُ ابنَهُ وهو فرحان .

ومرت سنةٌ أخرى وحَمَلَتْ حوّاءُ ووضَعَت طفلا آخرَ سَمَّتهُ هابيلَ ، واستمرَّ آدمُ فى البحثِ عن الطعام وإحضاره للأُسرَة . التى زادَ عددها .

٢

وكبِرَ قابيلُ وهابيل ، وأصبحا شابَّيْن ، فصار عليهما أن يتركا اللّعِب ، وأنْ يَعْملا ليساعدا آدمَ فى

إحضارِ الطعامِ للأُسرةِ الكبيرة ، وفى حمايَتها من السِّباعِ والنُّمورِ والوحوش .

كان قابيلُ أكبرَ من هابيل ، وكان هابيلُ أقوى من أخيه ، وكان قلبُه رقيقًا ونفسُه طيبة ، فكان يحبُّ الحيوانَ ويَعطِفُ عليه .

وأرادَ آدمُ أن يُقَسِّمَ العملَ بين وَلديْه ، فرأى أنْ يُكلِّفَ قابيلَ زراعةَ الأرض ؛ لأنَّ الأرضَ لا تحتاجُ إلى رِقَّةٍ أو حنان قلب ، وأعطى هابيلَ رِعايةَ الأغنامِ والبقر ؛ لأنها تحِسُّ وتتألم ، وتحتاجُ إلى مَنْ يَعطِفُ عليها .

طلعت الشمس ، فخرجَ آدمُ وقابيلُ وهابيلُ مِنَ الكهف ، وذهبَ قابيلُ يجمعُ الثمار ، وذهبَ هابيلُ يرعى الماشية ، ويعطِفُ عليها ولا يؤذيها ، وذهب آدمُ يَصْطَادُ بعضَ الطيور ، وينقُلُ الماءَ إلى حواءَ لتُنَظِّفَ أبناءَها .

وكانوا إذا جاء الليل ، عادَ الرجال إلى الكهف ؛ قابيلُ يحمِلُ الفَواكِه ، وهابيلُ يحملُ الألبانَ ، وآدمُ يحمل بعضَ الطيورِ التى اصطادَها ، ثم يُوضَعُ الطعامُ ويقعدُ الجميع يأْكلون .

٣

زادتِ الفواكهُ والثمار التى رزق اللّه بها آدمَ وأولادَه ، فأراد آدمُ أن يعلِّم ولدَيه الكبيرين كيفَ يشْكُرانِ اللّه على هذه النِّعَمِ الكثيرة ، فأمَرَهما أن يَذْهَبا إلى قِمَّةِ الجَبل ، وأن يضَعَ كلٌّ مِنهما شيئًا من مَحصولِه ، ليأخُذَه ويأكُلَه أىٌّ من مخلوقاتِ اللّه ، التى لا تعرِفُ تربيةَ الحيوانِ أو زراعةَ الأرض ، فيكونَ هذا زكاةً وقُرْبانًا لله .

ففرِحَ هابيلُ لأَنَّ قلبَه طيِّب . أما قابيلُ فقال فى نفسِه : لماذا أخْسَر هذا الذى كَسَبْتُه بالتَّعَبِ

والعَـرَق ، فَأتْرُكُـهُ وأرمِيـه ولا أنتفـعُ بـه ؟! ولكنـه لم يقدرْ أن يردَّ على أبيهِ .

٤

ذهب هابيلُ إلى غَنَمِه ، وأَخَـذَ يَبْحـثُ حتّـى وجـدَ خروفًا سمينا ؛ كان أحســنَ خَـروفٍ عِنـدَه ، فَذَبَحَـهُ وهو مسرورٌ لأَنه سيقدِّمه لله الـذى يرزقُهـم بالطعـامِ والشراب ، أَما قابيل فقد أخذَ يبْحـثُ فـى الفاكِهـةِ والثمار ، ولكنه لم يكنْ يَبحثُ عن أحسنِ ما عنـدَه ، بلْ كان يبحثُ عن شىء ردىء - لأنه هو نفسُه كـان رديئا بخيلا - حتي وجدَ فاكهةً فاسدة .

قدَّم قابيلُ إلَى اللّه هَدِيَّته الرَّديئـةَ الفاسـدة ، وكـان قلبُه رديئًا كهديته ، وقدَّم هـابيلُ هديتَـه التـى كـانتْ أحسنَ ما عنده ، وكان قلبُه صافيًا نظيفا .

وفى اليـوم التـالى ، ذهبـا ومعهمـا أبوهمـا آدمُ إلى قِمَّةِ الجبل ، فلم يجد هـابيل هديَّتـه ، فعـرف أن اللّـه قبلها منه ، أما قابيلُ فوجدَ هديَّته الرديئة كمـا هـى .

ففرِحَ هابيلُ وشكرَ اللّه ، وغضِـبَ قـابيل ، واغتـاظَ من أخيه ، وقال لأَبيهِ وهو غضبان :

- إِنَّما تقبَّلَ اللّه منه ، لأَنَّكَ دَعَوْتَ له ، ولَمْ تَـدْعُ لى .

فقال له آدم :

- بل تَقَبَّلَ اللّه مِنْهُ لأَنَّه قَدَّمَ أطيـبَ مـا عِنـده ، وقلبُه صاف . أما أنـت فقَدَّمْـتَ إلى اللّـه أردأَ مـا عندك ، وقلبُك ردىء . إنَّ اللّه طيِّبٌ لا يحـبُّ إلا الطيِّب .

وانصرفَ هـابيل ، ووقـف قـابيلُ ينظـرُ إليـه وهـو غضبـان ، ثـم سـارَ خلفَـه وهـو مُطـرِقُ الـرأس ، يشـعر

بخِزْى . كان حزينًا لأَنَّ اللّه فَضَّلَ أخاه عليه . لم يغضب على نفسه لأَنَّه كان رديئا ، بل غضِب على هابيل .

وجاء الشيطانُ وهمسَ فى أذنه : اقتلْ أخاك ، اقتل هابيل .. فرفع قابيلُ رأسَه ونظر ، فرأى أخاه يسيرُ هادئا فَشَعَرَ بضيق ؛ وراح الشيطانُ يقولُ له : اقتلْ هابيل . اقتلَ هابيل .. فأسرع خلف أخيه ، حتى إذا لحِقَ به ، قال له فى غضب :

ـ لأَقْتُلَنَّك .

فقال له هابيل فى استغراب :

ـ لماذا تقتُلنى ؟

ـ لأنَّ أبِى يُحبُّك أكثر مِنِّى ؛ ولأَنَّ اللّه فَضَّلَكَ عَلَيَّ .

ـ إنَّ قَتْلِى لن يُغَيِّرَ شيئًا ، فلنْ يحبَّك أبى لأنك

قَتَلْتَنى ، وسيزداد غضبُ اللّه عليك .

وقبض قابيل على هابيل وهو ثائر ، وقال له :

- سأَقتلك لأستريحَ مِنك .

فقال هابيل لأخيه :

- لنْ تَعرِفَ الراحةَ إذا قَتَلْتَنى .

فقال قابيلُ والغضَبُ يُعميه :

- لن أعرفَ الراحةَ حتى أقْتُلَك .

فقال له هابيلُ فى هدوء ، وكان أشَدَّ من أخيه وأقوَى :

- ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إلَيَّ يَدك لِتَقْتُلنى ، ما أَنا بباسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ، إنِّى أخافُ اللّه رَبَّ العالَمين﴾ .

وانصرف هابيلُ فى هدوء ، ووقف قابيلُ وهو ينظر إلى الأرض ، يشعر بِكُرْهٍ شديدٍ لأخيه .

٥

وصل قابيلُ إلى الكهفِ وهو حزين ، وتَمَدَّدَ لينام ، ولكنه لم يَنَمْ ، كان يفكّر فيما حدثَ وهو مُتضايق ، وجاء الشيطانُ يَهمِس فى أذنه : اقتل هابيلَ لِتستريح .. اقتلْ هابيل .. واستمرَّ يستمع إلى الشيطان ، وهو يتقلّبُ فى قَلَق ، حتى إذا طلع النهار خرج من الكهف ، وقد عَزَمَ أن يقتل أخاه .

ذهب هابيلُ إلى الأغنام ليعتنىَ بها ، وكان مسرورًا منشرح الصدر ؛ وخرج قابيلُ ليزرعَ الأرض وكان عَبُوسًا مغتاظا من هابيل . فلما رأى أخاه يس بينَ الغنم هادئا ، زاد غضبه ، وجاء شيطانُه يصي به ، اقتلْه واسترح . فنظرَ حوله فوجدَ صخرة فحملها وذهبَ إلى أخيه كالمجنون ، وضربه بها

فسقط هابيلُ مقتولاً ، وجرى أولُ دمٍ على الأرض .

أفاق قابيلُ إلى نفْسِه ، فلما رأى دَمَ أخيه شَعَرَ بِندم ، وعرف أنه عمِل عَمَلاً فظيعا : قتلَ هابيلَ ولم يفعل هابيلُ ما يستحقُّ عليه القتل .. كان أخوه طيِّبًا فعَمِل الطَيِّب ، أما هو فكان سيئا وعمِل السَّيِّء . ولم يعترف بذلك ، بل زاد فى رداءتِهِ وحَسَدَ أخاهُ وقَتَلَه .

ها هو ذا قَتَل أخاه ، فماذا كسب من قتلِه ؟ إنه لم يكسِبْ شيئا ، بل خسر كل شيء . إنه يشعرُ بالخوف ، ويشعر بالحُزنِ ، ويشعر بالندم ، خَسِرَ الراحة ، وخَسِر الأمن ، وخسر الاطمئنان . إن الريحَ تهُبُّ فيخيَّلُ إليه أنها تصرخ به : قاتل .. قاتل .. والوحوش تزأر فى الغابة ، فيتصوَّر أنها تناديه : يا قاتل .. يا قاتل !

إنه خائف ، إنــه يَنْتَفِـض ، إن رِجْلَيـه لا تسـتَطيعانِ حَمْلَه ، فسقطَ إلى جِوار أخيه ، وأخَذ يهُزُّه ويناديه :

ـ هابيل ... هابيل ..

ولكن هابيل بقى ساكنا لا يُجيب ، فقد أصبح جثة فارقتها الحياة .

٦

وقف قابيلُ أمام أخيه المقتولِ حائرًا ؛ إنه لا يعـرف ماذا يفعل . مات هابيلُ ولم يَعُد يســتطيعُ أن يقـومَ أو يمشـى ، فمـاذا يفعـل قـابيل ؟! أيتركـه فـى الفضــاء للطيور الجارحةِ وللوحوش ؟ فكر ، ولكنه لم يهتدِ إلى شىء ، وخطَرَ له أن يحمِل أخاه ، فتقَدَّم وحَمَـل جُثّـةَ هابيلَ على ظهْرِه ، وسـارَ وهـو قَلِـقٌ لا يـدرى مـاذا يفعلُ بالجُثّة .

واستمرَّ فى سيره حتى تَعِبَ ، فوضَعَ جثة أخيه على الأرض ، وجلس إلى جوارها وهو حزين ، وأخذَ ينظُر إليها ويفكرُ فيما يفعَل ، ويلُوم نفسه على قتل أخيه ، ويتمنّى لو أنه لم يقتلْه .

حتى إذا استراح ، حَمَلَ أخاه مرة ثانيةً على ظهرِه ، وسارَ به وهو ينتفِض من الغَضب على نفسه ، واستمرَّ فى سيره وهو حيران ، حتى إذا أحسَّ تعبا وضع أخاه على الأرض ، وجلس يستريح .

واستمرَّ يحملُ أخاهُ على ظهرِهِ ويضعهُ إذا تعب ، ثمَّ يعود ويحملهُ ويدور به فى الفضاء ، وهو حيران لا يدرى كيف الخلاص .

وبينما هو يسير ، إذ رأى غُرابًا حيًّا وبجانِبه غرابٌ ميت ، والغراب الحىُّ يحفِرُ فى الأرض بمنقارِه ورِجْلَيه

حتى حفر حُفْرةً كبيرة ، فجذب الغرابَ الميتَ ووضعه فى الحُفرة ، وغطّاه بالتراب .

فلما رأى قابيلُ ذلك عَجبَ مِن أمرِه ، وقال :

ــ ﴿ يا وَيْلَتَا ! أَعَجَزْتُ أن أكونَ مِثلَ هذا الغراب ، فأُوارِىَ سَوْأَةَ أخى ؟ ﴾ .

وقام وأخذ يحفرُ فى الأرضِ حفرة ، ثم جذبَ أخاه ووضعَه فيها ، وغَطّاه بالتراب .

٧

وأقبل آدم يبحث عنْ وَلَديْه ، فلما رَآهُ قابيلُ قادمًا شَعَرَ بالخوف ، وعَلِم أن أباه لن يغْفِرَ له ما فَعَلَه ، فَفَرَّ من وجهه مذعورًا مفزوعا ، فلما رآه آدم يَجرى من وجهه دهِش ، ونظرَ حولَه فرأى دَمَ هابيل ، فدقَّ قلبُه فى شِدَّة ، وانقبض ، فقد عرف أن قابيلَ قتلَ

هابيل ، فحزِن وجَرتْ دموعُهُ علـى خدَّيْـه ، وجـرى خلفَ قابيل وهو حانق ، وأخَذ يصيح :

ـ قابيل .. ماذا فعلتَ بأخيك ؟!

وخُيِّلَ لِقابيلَ أن الدنيا كلَّها تصيح به :

ـ قابيل .. ماذا فعلتَ بأخيك ؟

فاستمرَّ يجرى وهو مفزوع ، حتى وصـل إلى حافـةِ الجبل ، فنزل وهـو خـائفٌ يضْطَرِب ، وآدمُ يصيـح به :

ـ قابيل ! لنْ تعرف الراحةَ أبدا ، لقد فتحتَ علـى نفسِك أبواب الخوف . اذهبْ ، فلا تزالُ مرعوبًـا لا تأمَنُ مَنْ تراه .

القصص الديني

الحلقة الأولى ـ قصص الأنبياء (بالاشتراك مع سيد قطب)

(١) آدم وحواء
(٢) قابيل وهابيل
(٣) سفينة نوح
(٤) إرم ذات العماد
(٥) ناقة صالح
(٦) إبراهيم يبحث عن الله
(٧) فداء إسماعيل
(٨) يوسف الصديق
(٩) تحقيق الرؤيا
(١٠) مدين وشعيب
(١١) موسى والعصا
(١٢) موسى والألواح
(١٣) موسى والرجل الصالح
(١٤) داود
(١٥) سليمان وبلقيس
(١٦) عيسى بن مريم
(١٧) أهل الكهف
(١٨) قدرة الله

الحلقة الثانية ـ قصص السيرة :

(١) هاشم بن عبد مناف
(٢) عبد المطلب جد النبى
(٣) عبد الله وآمنة
(٤) مولد الرسول
(٥) حليمة السعدية
(٦) اليتيم
(٧) خديجة بنت خويلد
(٨) الوحى
(٩) المسلمون الأوائل
(١٠) الاضطهاد
(١١) الهجرة إلى الحبشة
(١٢) أيام الشدة
(١٣) الهجرة
(١٤) غزوة بدر
(١٥) غزوة أحد
(١٦) الخندق
(١٧) صلح الحديبية
(١٨) الدعوة إلى الإسلام
(١٩) فتح مكة
(٢٠) غزوة حنين
(٢١) غزوة تبوك
(٢٢) حجة الوداع
(٢٣) النبى الصالح
(٢٤) وفاة الرسول

الحلقة الثالثة ـ قصص الخلفاء الراشدين :

(١) أبو بكر خليفة الرسول
(٢) أبو بكر يقاتل مانعى الزكاة
(٣) أبو بكر وخالد بن الوليد
(٤) وفاة أبى بكر الصديق
(٥) عمر أمير المؤمنين
(٦) فتح دمشق .
(٧) عمر وسعد بن أبى وقاص
(٨) عمر فى بيت المقدس
(٩) فتح مصر
(١٠) عمر والرعية
(١١) وفاة عمر
(١٢) عثمان بن عفان
(١٣) فتح إفريقية
(١٤) عثمان وثورة الأمصار
(١٥) مقتل عثمان
(١٦) الإمام على بن أبى طالب
(١٧) وقعة الجمل
(١٨) وقعة صفين
(١٩) التحكيم
(٢٠) مقتل الإمام

الحلقة الرابعة ـ العرب فى أوربا :

(١) الرحى والطلسم
(٢) رؤيا الرسول
(٣) ملك الاندلس
(٤) طارق بن زياد
(٥) موسى بن نصير
(٦) نهاية موسى بن نصير
(٧) العرب فى فرنسا
(٨) شارل مارتل
(٩) صقر قريش
(١٠) عودة إلى غزو فرنسا
(١١) الحكم بن هشام
(١٢) العرب فى كريت
(١٣) العرب فى صقلية
(١٤) عبد الرحمن وطروب
(١٥) العرب فى إيطاليا
(١٦) عبد الرحمن الناصر
(١٧) الحكم بن الناصر
(١٨) الاميرة صبح
(١٩) المنصور بن أبى عامر
(٢٠) ولادة وابن زيدون
(٢١) الجاهلية الثانية
(٢٢) شقاق
(٢٣) انتصار الإسبان
(٢٤) آخر أيام العرب فى الأندلس

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

ثمن القصة الواحدة ٤٠ قرشا